زمن أفقي فيما يلوح في أفق مستقبلها المغلق: زمن مائل. تقول مريم موجهة خطابها الى حامد الغائب: «لقد منحتني هذا النعش، علقته أمامي، كي أدفنك فيه، ولكن خطواتك هي التي ستظل الى الأبد تقرع حوله، ولن يدفن فيه الا أنا، وحتى بعد أن أدفن في أعماقه ستظل خطواتك تقرع فيه وحوله وفوقه الى الابد، هذا النعش الصغير المعلّق سيحتوينا جميعاً. وستعلكنا خطواتك ونحن فيه. وستظل أنت فقط خارجه تكمل رحلتك التي لا تنتهي. لا تنتهي! يا إلهي! ليس بوسع أحد غيرك ان يعرف»[٩٤].

وبينما يكون هذا هو شأن الساعة النعش، وشأن خطوات حامد، في وجدان مريم، فإن زمن زكريا المائل ـ الزمن وزكريا معاً ـ يمارس حضوره عبر التجاوب الدلالي بين الساعة ـ النعش، والسرير النعش، وهو يحتوي زكريا الـ «مستغرق في النوم على بعد شبر واحد مني. بعيد كالموت»[٩٥].

ويؤدي اصطراع الازمنة داخل وجدان مريم الى اجتراح الفعل الذي يكشف عن الوعي والاختيار: يؤدي تهديد زكريا لمريم بتطليقها إن هي لم تستطع «إسقاط ذلك القرد الصغير»[٩٦] على حد تعبيره، الى الغاء أية امكانية لدخول مريم في زمن زكريا، ولا يبق أمامها، مع رغبتها في الاحتفاظ بالجنين، غير العودة مع جنينها، وماضيها كله، الى زمنها الأفقي، غير أن خشية العار والفضيحة، على المستوى الاجتماعي، تدفع مريم الى الغاء هذا الخيار، إذ فجأة، ودفعة واحدة يتدافع ضجيج العالم في أذنيها، وتحضر الأزمنة الثلاثة في اصطراع أخير: «الساعة البعيدة المعلّقة أمام السرير تدق، فتعبر الممر وتدخل الى المطبخ حيث كنا نقف وجهاً لوجه صبيحة عرسنا. وفاتني ان أعد دقاتها المستغيثة التي كانت تندمج في صوته العالي، وتتحول معه الى اصطفاق صنوج معدنية جبارة، تهز بدني هزاً»[٩٧]. يختلط الزمنان، زمن زكريا وزمن الساعة ـ النعش، فيتوحدان في دقّات استغاثة، ثم يتحولان الى «اصطفاق صنوج جبارة» تشي بانبثاق فعل رهيب، إن صوت زكريا هو صوت زمنه المائل، ودقّات الساعة ـ النعش التي تلحّ في حضورها، تعلن عن زمنها وتستدعي نقيضه: خطوات حامد، وتقف مريم في بؤرة اصطراع الأزمنة، وإذ تلمع سكين المطبخ، وسكين الجندي الاسرائيلي، تلك الملقاة فوق الطاولة، أو الملقاة على رمل الصحراء بين قدمي حامد، أمام عينيهما «بنصلها الطويل المتوقّد»[٩٨] في برهة واحدة ـ أنقول هي البرهة التي يصعب التقاطها... ربما ـ فإن مريم تكون قد قررت الدخول في زمن حامد، في اللحظة نفسها التي يكون حامد مهيئاً للاعلان عن ولادة زمنه: «زمن الاشتباك» بعد مخاض عسير يتقاطع مع المخاض الذي عبرته مريم. وإذ يقع الفعلان في اللحظة ذاتها ويتقاطعان، فإن حامد يكون قد أعلن انبثاق: زمن الاشتباك على المستوى الوطني، زمن انبثاق الهوية الوطنية من جديد، وتكون مريم بقتلها زكريا قد أجهزت على كلا الزمنين: الافقي والمائل، المتوحدين في صوت زكريا، وأرسلتهما معاً، الى القبر، بين قدمي الطاولة، في الوقت الذي تكون فيه، مثل حامد، قد أخرجت الزمن من أساره، فأعلنت حضور زمن آخر في البيت، يتجاوب مع الزمن الذي أعلن حامد حضوره في الصحراء ـ الوطن. وباختلاف الزمن، أي باختلاف مفهومه لدى كل من حامد وزكريا، تختلف رؤيتهما للأشياء والاماكن، فلا تعود الصحراء في رؤية حامد ـ أرضاً محرمة، أو عبارة بين خسارتين، أو حدّاً يتوجب اختراقه للوصول الى الام ـ الملجأ، بل تكون هي، كما كانت قبل الاحتلال والاقتلاع والنفي: الارض ـ الام ـ الوطن، دون تراتب أو تسلسل أفقي، بل بتداخل وتفاعل في المدلولات يكاد يجعل الكلمة الواحدة دالة على رديفاتها ومسكونه بما تنطوي عليه من معان، ومشاعر، وتصورات، أو يكاد يجعلها كلمة واحدة: الارض الأم الوطن، التي ينغرس حامد فيها، ويتخلّق في رحمها من جديد، فيولد، وتولد هويته في فضاء وطن ذاهب الى مستقبله.

وكذلك أيضاً، لا يعود البيت قبراً يحتوي أشياء هي نعوش وقبور، وأناساً هم جثث محنّطة،